القاعدة المراكشية

تأليف

شيخ الإسلام أحمد بن تيمية

المتوفى سنة ٧٢٨ هجرية

تحقيق

الدكتور
ناصر بن سعد الرشيد

الأستاذ
رضا بن نعسان معطي

مطابع الصفا
مكة المكرمة

الطبعة الأولى

حقوق الطبع محفوظة للمحقق

سنة ١٤٠١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

شغلت مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيميـــة حيزا كبيرا فى الفكر الاسلامي الصحيح واهتم بها الناس يدرسونهـــــا ويتعلمون منها ، وازدادت حاجتهم اليها فى القرون المتاخرة فاتجه علماء هذا العصر والغيورون على نشر العقيـــدة الصحيحة الى نشر مؤلفاته والبحث عنهـا فى مظانهـــا المختلفة ، فطبعت كثير من مؤلفاته وعدد هائل مـن فتاواه ، ولعل من المناسب فى هذا المقـام أن نذكـــر ما للشـــيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي وابنه محمد من فضل فى تجميع شتات فتاوي شيخ الاسلام من مكتبات العـــالم وطبعها ، فرحم الله الشيخ محمد وأثابه على صنيعه هذا ، وجزاه عن العلم والعلماء خير الجزاء ، ومن ضمن هـذه الفتاوى رسائل كتبها الشيخ لسائليه فى بلدان معينة حملت اسم هذه الاماكن طبعت مستقلة ليسهل اقتناؤها من ناحية ويقراها الطلاب من ناحية أخرى كالحموية والواســـطية والتدمرية والقبرصية والبعلبكية ، ويسرنا اليوم ـ اسهاما منا ـ فى نشر تراث الشيخ أن نقدم رسالة من رسائل الشيخ وسمت بالقاعدة المراكشية ، سائلين الله سبحانه وتعالى أن يسهل الانتفاع بها وأن يمكن لها الانتشار والقبول حتـــى تسهم فى نشر العقيدة الصافية ٠

منهج تحقيق الرسالة

عثرنا على نسختين لهذه الرسالة احداهمـــا ، وهى المخطوطة الأم التي اعتمدناها اصلا للتحقيق ، فى برليـن ضمن مجموع حوى عددا من الرسائل ٠

وقد كتبت بخط نسخ غير مؤرخ وان كان يظن ان هذا الخط من خطوط القرن التاسع او العاشر الهجري ، والثانية هي النسخة التي طبعها الشيخ محمد بن قاسم فى المجلـد الخامس ، وان كان لم يذكر من اي مكتبة حصل عليها ، الا انه بعد مقابلتها بنسختنا الأم وضح لنا أن هناك بعـــض الفروق التي جعلتنا نرجح انها نسخة ثانية ٠

أما منهجنا فى التحقيق فقد راعينا أن يكون على وفـق الطرق المعتبرة للتحقيق فقابلنا بين النسختين واثبتنا الفروق بينهما ثم حاولنا تخريج احاديث هذه الرسالة مع ترجمـة موجزة لبعض الاعلام التي وردت فى الرسالة ، وحرصنـا كذلك على تخريج كل قول او رأي ينسبه الشيخ لقائله ٠

واخيرا فانا نشكر كل من ساعد علي اخراج هذه الرسالة او اعان على نشرها ، كما نسال الله سبحانه وتعـالى أن يجعل عملنا خالصا لوجهه الكريم وأن ينفع به انه نعـــم المولى ونعم النصير ٠

١٤٠١/٦/٢٠ هـ

حياته ..

هو الشيخ الامام الرباني ، امام الائمة ، ومفتي الامـــة ، وبحر العلوم ، فريد العصر ، شيخ الاسلام ، وترجـــمان القرآن ، قامع المبتدعين ، واخر المجتهدين ، تقي الـــدين ابو العباس احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله ابن الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبدالله بن تيمية الحراني ثم الدمشقي التيمي ٠

ولد يوم الاثنين عاشر ربيع الاول بحران سنة احـــدى وستين وستمائة ، وقدم به والده وباخوته الى دمشق عنـد استيلاء التتر على البلاد سنة سبع وستين ٠

سمع الحديث من ابن عبد الدائم وابن أبي اليســـر وابن عبدان والشيخ شمس الدين الحنبلي ، والشيخ شمس الدين ابن عطاء الحنفي ، والشيخ جمـــال الدين بن الصيرفي، ومجد الدينبن عساكر والشيخ جمال‌الدين البغداديوالنجيب ابن المقداد وابن أبي الخير وابن عـلان وابن أبي بكـــر اليهودى والكمال عبد الرحيم والفخر علي وابن شيبـــان الشرف بن القواس وزينب بنت مكي وخلق كثير سمـــع منهم الحديث وقرأ بنفسه الكثير وطلب الحديث ، وكـتب الطباق والاثبات ، ثم اشتغل بالعـلوم وكان ذكيـــا كثير

المحفوظ فيقال : انه كان أعرف بفقه المذاهب من أهلهـــا الذين كانوا فى زمانه وغيره ٠ (١)

مكانته ..

أثنى عليه علماء عصره ومن أتى من بعدهم ثناء كبيرا حتى ان بعضهم عده فى مكانة الفقهاء الاربعة لو لا بعـــد الزمن بينه وبينهم واليك طرفا من أقوالهم فى علمه فضـــلا عن عبادته وزهده وكرمه وصبره :

قال عنه ابن عبد الهادي(٢) : « كان بحـــرا لا تكـدره الدلاء ، وخيرا يقتدي به الأخيار الالباء ، طنت بذكـــره الامصار ، وضنت بمثله الأعصار » ٠ قال شيخنـــــا الحافظ أبو الحجاج (المزى) : « ما رأيت مثلـه ولا رأى هو مثل نفسه ، وما رأيت أحدا أعلم بكتاب الله وسنـــة رسوله ولا أتبع لهما منه » ٠ وقال الشيخ الحـــــافظ فتح الدين أبو الفتح بن سيد النـاس اليعمـرى المصـرى : « ٠٠٠ ان تكلم فى التفسير فهو حامل رايته ، أو أفتى فـي الفقه فهو مدرك غايته ، أو ذاكر بالحديث فهو صاحب علمه وذو درايته ، برز فى كل فن على أبناء جنسه ولم تر عين من رآه مثله ، ولا رأت عينه مثل نفسه » ٠٠ وقال الشـــــيخ

---

(١) البداية والنهاية : ١٣٦/١٤ ـ ١٣٧ ٠ العقود الـــدرية : ٢ ، ٣ ، ذيل طبقات الحنابلة : ٣٨٧/٢ ـ ٣٨٨ ، الاعلام العلية : ١٨ ، جـلاء العينين : ٥ ، شذرات الذهب : ٨٠/٦ ـ ٨٦

(٢) العقود الدرية : ٧ ، ١٠ ، ١٢ ، ٢٦ ٠

علم الدين البرزالي فى معجم شيوخه : « ... وكان اماما لا يلحق غباره فى كل شيء وبلغ رتبة الاجتهاد واجتمعت فيه شروط المجتهدين ... » وللشيخ رحمه الله من المصنفات والفتاوي ، ولا أعلم أحدا من متقدمي الامة ولا متأخريها جمع مثل ما جمع ، ولا صنف نحو ما صنف ، ولا قريبا من ذلك ، مع أن كثرة تصانيفه انما أملاها من حفظه ، وكثير منها صنفه فى الحبس وليس عنده ما يحتاج اليه من الكتب » .

ويقول الحافظ البزار (١) : « أما معرفته بصحيح المنقول وسقيمه فانه فى ذلك من الجبال التي لا ترتقى ذروتها ، ولا ينال سنامها ، قل أن ذكر له قول الا وقد أحاط علمه بمبتكره وذاكره وناقله وأثره ، أو راو الا وقد عرف حاله من جرح وتعديل باجمال وتفصيل . »

وذكر ابن رجب بعض أقوال علماء عصره فيه فمنهم ابن دقيق العيد الذي يقول فى شيخ الاسلام بعد أن رآه فى مصر : « ما كنت أظن أن الله بقى يخلق مثلك » . وسئل ابن الزملكاني عن الشيخ فقال : لم ير من خمسمائة سنة أو اربعمائة سنة ـ شك من الناقل ، وغالب ظنه : أنه قال : من خمسمائة ـ احفظ منه » . ويحكى عن محمد بن قوام أنه كان يقول : « ما أسلمت معارفنا الا على يد ابن تيمية » .. ويقول الواسطي : « قد شارف مقام الائمة الكبار ، ويناسب

(١) الاعلام العلية : ٣٢

قيامه فى بعض الامور قيام الصديقين » . ثم قال فى مقام آخر : « ما رأينا فى عصرنا هذا من تستجلي النبوة المحمدية وسننها من أقواله وأفعاله الا هذا الرجل بحيث يشهد القلب الصحيح : أن هذا هو الاتباع حقيقة » (١) .

وقال الشيخ ابن الزملكاني (٢) : « اجتمعت فيه شروط الاجتهاد وعلى وجهها » .

وقال ابن الوردي فى تاريخه (٣) : « كل حديث لايعرفه ابن تيمية فليس بحديث ، ولكن الاحاطة لله تعالى غير أنه يغترف فيه من بحر وغيره من الائمة يغترفون من السواقي ، وأما التفسير فسلم اليه ، وكان يكتب فى اليوم والليلة من التفسير أو من الفقه أو من الأصلين أو من الرد على الفلاسفة نحوا من أربعة كراريس » .

وقال الواسطي (٤) : « فو الله ثم والله لم ير تحت أديم السماء مثل شيخكم ابن تيمية علما وعملا وحالا وخلقا واتباعا وكرما ، وقياما فى حق الله تعالى عند انتهاك حرماته » .

واتفق أن قاضي الحنفيةبدمشق شمس الدين بن الحريري انتصر للشيخ وكتب فى حقه محضرا فى ثلاثة

---

(١) جلاء العينين : ١٠

(٢) جلاء العينين : ١١

(٣) ذيل طبقات الحنابلة : ٣٩٢/٢ ـ ٣٩٣

(٤) البداية والنهاية : ١٣٧/١٤

عشر سطرا من جملتها : « انه منذ ثلثمائة سنة ما رأى الناس مثله » (١) ٠

جهاد الشيخ ..

لقد كان شيخ الاسلام انموذجا للعالم المسلم فى علمه وزهده وعبادته كما كان فى شجاعته وصبره وعفوه ٠ وقد حفظ لنا التاريخ فى ثناياه مواقف عدة تنبىء عن شجاعة ابن تيمية وشدة بأسه فى الجهاد ، فقد كان رحمه الله يحارب فى جبهتين شرستين : أولاهما : أهل البدع والخرافات ، وكانت حربه رحمه الله معهم عنيدة لا هوادة فيها ، وكان موقفه صلبا لا يتزعزع ، ولا تأخذه فى الله لومة لائم رغم تكالب كثير من علماء عصره، وخاصة ذوي الجاه والمنصب منهم ضده والسعاية به لدى السلاطين والحكام ، فقد سخر قلمه رحمه الله لمقارعتهم ومحاربتهم على شتى فئاتهم من أهل بدعة فى دين الله أو دروشة ، وجرد حسامه على المناطقة والملاحدة والفلاسفة فكان أقوى عليهم من السيف المصلت وألف فى ذلك كتابين هامين هما : « نقض المنطق » و « الرد على المنطقين » ٠٠ وفى هذين الكتابين دحض حججهم وسفه براهينهم ٠ قال كلمته المشهورة (٢) : « أما بعد ، فاني كنت دائما أعلم أن المنطق اليوناني لا يحتاج اليه الذكي ولا ينتفع به البليد » ٠

---

(١) جلاء العينين : ١٢

(٢) مقدمة كتاب « الرد على المنطقيين »

واليك طرفا من أقوال معاصريه فى شأن محاربته للبدع وفى بعض مواقفه الجريئة فى ازالة المنكرات :

يقول البزار (١) : « وأما ما خصه الله تعالى به من معارضة أهل البدع فى بدعتهم ، وأهل الاهواء فى أهوائهم ، وما ألفه فى ذلك من دحض أقوالهم وتزييف أمثالهم وأشكالهم ، واظهار عوارهم وانتحالهم ، وتبديد شملهم ، وقطع أوصالهم ، وأجوبته عن شبههم الشيطانية ، ومعارضتهم النفسانية للشريعة الحنيفية المحمدية ، بما منحه الله تعالى به من البصائر الرحمانية ، والدلائل النقلية والتوضيحات العقلية ، حتى ينكشف قناع الحق ، وبان بما جمعه فى ذلك وألفه للكذب من الصدق ، حتى لو أن أصحابها أحياء ـ ووفقوا لغير الشقا ـ لأذعنوا له له بالتصديق ، ودخلوا فى الدين العتيق » .

وكان رحمه الله يرى أن التصدي لمثل هؤلاء الضالين ، والملاحدة واجبه وواجب غيره من العلماء ، ولذلك تصدى لهم فهو يقول (٢) : « **فاني رأيت أهل البدع والضلالات** والأهواء كالمتفلسفة والباطنية والملاحدة والقائلين بوحدة الوجود الدهرية والقدرية والنصيرية والجهمية والحلولية والمعطلة والمجسمة والمشبهة والراوندية والكلابية والسليمية وغيرهم من أهل البدعقد تجاذبوا فيها بأزمةالضلال،وبان لي أن كثيرا منهم انما قضد ابطال الشريعة المقدسة المحمدية

---

(١) المناقب العلية : ٣٥ ، ٣٦

(٢) المناقب العلية : ٣٣ ، ٣٤

الظاهرة العلية على كل دين ، وان جمهورهم أوقع النـاس في التشكيك في أصول دينهم ، ولهذا قل أن سمعت أو رأيت معرضا عن الكتاب والسنة مقبلا على مقالاتهم الا وقـد تزندق أو صار على غير يقين في دينه واعتقاده ، فلما رأيت الأمر على ذلك بان لي : أنه يجب على كل من يقدر على دفع شبههم وأباطيلهم ، وقطع حججهم وأضاليلهم ، أن يبـذل جهده ليكشف رذائلهم ويزيف دلائلهم ذبا عن الملة الحنيفية والسنة الصحيحة الجلية » .

قال الذهبي رحمه الله (١) : « ولقد نصـر السـنة المحمدية والطريقة السلفية ، واحتج لها ببراهين ومقدمـات وأمور لم يسبق اليها ، وأطلق عبارات أحجم عنها الاولون والاخرون ، وهابوا وجسر هو عليها ، حتى قام عليه خلق من علماء مصر والشام قياما لا مزيد عليه ، وبدعـوه وناظروه وكابروه ، وهو ثابت لا يداهن ولا يحابي ، بل يقول الحق المر الذي أداه اليه اجتهاده وحدة ذهنـه ، وسعـة دائرته في السنة والأقوال مع ما اشتهر عنه من الـورع ، وكمال الفكر ، وسرعة الادراك ، والخوف من الله والتعظيم لحرمات الله ، فجرى بينه وبينهم حملات حربية ، ووقعات شامية ومصرية ، وكم من نوبة قد رموه عن قوس واحدة فينجيه الله ، فانه دائم الابتهال ، كثير الاستغاثة والاستعانة به ، قوي التوكل ، ثابت الجأش ، له أوراد وأذكار يدونهـا بكيفية وجمعية ، وله من الطرف الآخر محبون من العلمـاء

---

(١) الذيل : ٢/٣٩٤ ، ٣٩٥

والصلحاء ومن الجند والامراء ومن التجار والكبـــراء ، وسائر العامة تحبه ، لأنه منتصب لنفعهم ليلا ونهارا بقلمه ولسانه » .

ويقول الذهبي فى موضع اخر (١) : « ... ونظر فـى العقليات وعرف اقوال المتكلمين ، ورد عليهم ، ونبه علـى خطئهم ، وحذر منهم ، ونصر السنة بأوضح حجج وأبهـر براهين ، وأوذي فى ذات الله من المخالفين ، وأخيف فـي نصر السنة المحضة ، حتى أعلى الله مناره ، وجمع قلوب أهل التقوى على محبته والدعاء له ، وهدى به رجالا مـن أهل الملل والنحل ـ وجلب قلوب الملوك والامراء على الانقياد له غالبا ، وعلى طاعته وأحيا به الشام بل والاسلام بعد أن كاد ينثلم بتثبيت أولي الأمر لما أقبل حزب التتر والبغي مـن خيلائهم » .

أما أبو حيان النحوي فيرى أن موقف شيخ الاسلام مـن الخرافات والبدع وما أتم الله على يديه من الاصلاح شبيه بموقف أبي بكر رضي الله عنه أيام الرده يقول (٢) :

لما رأينا تقي الدين لاح لنـــا
داع الى الله فردا مـــاله وزر
على محياه من سيما الأولى صحبوا
خير البرية نور دونه القمـــر

---

(١) الذيل : ٣٨٩/٢ ، ٣٩٠

(٢) الذيل : ٣٩٢/٢ ، جلاء العينين : ١٢ ، شذرات الذهب : ٨٣/٦

حبر تسربل منه دهره حبـرا

بحر تقاذف من أمواجه الدرر

قام ابن تيمية فى نصر شرعتنا

مقام سيدتيم (١) اذ عصت مضر

فاظهر الدين إذ آثاره درست

واخمد الشرك اذ طارت لهشرر

وكان الشيخ رحمه الله يقوم بنفسه او بمن معه بازالـة المنكرات بيده ، فقد مر يوما على قوم يلعبون بالشطرنـج على مسطبة بعض حوانيت الحدادين ، فنفض الرقعة وقلبها فبهت الذي يلعبها والناس من فعله ذلك (٢) ٠

وفى يوم جمعة دار الشيخ رحمه الله ومن معه مـن أصحابه على الخمارات والحانات فى بلاد الشام فكسـروا آنية الخمر وشققوا الظروف وأراقوا الخمور ، وعـزروا جماعة من أهل الحانات المتخذة لهذه الفواحش ، ففـرح الناس بذلك (٣) ٠

وفى يوم جمعة آخر ، خرج الشيخ ومعه خلق كثير من المتطوعة والحوارنة لقتال الجيش الذى ذهب الى جبـال الجرد وكسروان « بسبب فساد نيتهم وعقائدهم وكفـرهم وضلالهم وما كانوا عاملوا به العساكر لما كسرهم التتـر

(١) سيد تيم هو أبو بكر الصديق رضى الله عنه ٠

(٢) العقود الدرية : ٢٨٨

(٣) البداية والنهاية : ١١/١٤

وهربوا حين اجتازوا ببلادهم وثبوا عليهم ونهبوهم وأخذوا أسلحتهم وخيولهم ، وقتلوا كثيرا منهم ، فلما وصلوا الى بلادهم جاء رؤساؤهم الى الشيخ تقي الدين ابن تيمية فاستتابهم وبين للكثير منهم الصواب ، وحصل بذلك خير كثير ، وانتصار كبير على أولئك المفسدين ، والتزموا برد ما كانوا أخذوه من أموال الجيش ، وقرر عليهم أموالا كثيرة يحملونها الى بيت المال ، وأقطعت أراضيهم وضياعهم ولم يكونوا قبل ذلك يدخلون فى طاعة الجند ولا يلتزمون أحكام الملة ، ولا يدينون دين الحق ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله » (١) .

كل هذا وشيخ الاسلام يعاني فى سبيل هذا الاصلاح أشد المعاناة حتى وصف ما يلاقيه من المبتدعة والملاحدة بانه اشد من حربه لجيش قازان ، يقول : (٢) « بل جاهدنا فى هذا مثل جهادنا يوم قازان والجبلية ، والجهمية ، والاتحادية . وأمثال ذلك وذلك من أعظم نعم الله علينا وعلى الناس ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون . »

ويبتلى الشيخ من علماء السوء كما ابتلي غيره من المصلحين ، وما محنة امامه المجاهد العظيم أحمد بن حنبل الا مثال لما تبتلى به العقول المصلحة ، ولكنه يصبر ويحتسب بل ويعد السجن نعمة من الله ، يقول فى ورقة كتبها من السجن (٣) : « ونحن فى نعم عظيمة لا تحصى

---

(١) العقود الدرية : ٣٦٦

(٢) العقود الدرية : ١٢

(٣) العقود الدرية : ٣٦٧

ولا تعد ، والحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ، ثم ذكر كلاما وقال : « كل ما يقضيه الله فيه الخير والرحمة والحكمة ... » .

ويقول أيضا عبارته المشهورة (١) : « ان فى الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة ... ما يصنع أعدائي بي ؟ أنا جنتي وبستاني فى صدري ، أين رحت فهي معي لا تفارقني . أنا حبسي خلوة ، وقتلي شهادة ، واخراجي من بلدي سياحة » . لا يقول مثل هذا القول الا عظماء الرجال الذين لا يهمهم ما يلاقونه من سجن أو قتل أو نفي فى سبيل ما يعتقدون ، وما أقلهم ؟ .

ولله در الشيخ فهو رغم انتصاره على مناوئيه وساجنيه والساعين ضده ، كان لا ينتصر لنفسه ، وكان يعفو عنهم . وقصص عفوه عمن آذوه كثيرة ولولا ضيق المقام لذكرت طرفا منها (٢) .

ثانيهما : جبهة المعارك الفعلية ، فقد خاض الشيخ المعارك بنفسه ومنع الناس من التولي والهرب أيام التتار ، وحرض الحكام على حربهم ، وكان شجاعا فى حربه بالسيف كما كان شجاعا فى قوله بالحق ، وقد شهد له من كتب عنه من معاصريه أو أرخوا له من بعد بشجاعته الفائقة

---

(١) الذيل نقلا عن ابن القيم : ٤٠٢/٢

(٢) العقود الدرية : ٢٨٢ ، ٢٨٦ ـ ٢٨٩ خبران من أخبار عفوه وحلمه عمن أساء اليه فلتراجع .

وصفه البزار فقال (١) : « كان رضي الله عنه من أشجع الناس وأقواهم قلبا ، ما رايت أحدا أثبت جاشا منه ، ولا أعظم غناء فى جهاد العدو منه ، كان يجاهد فى سبيل الله بقلبه ولسانه ويده ولا يخاف فى الله لومة لائم ، وأخبر غير واحد : أن الشيخ رضي الله عنه كان اذا حضر مع عسكر المسلمين فى جهاد يكون بينهم واقيتهم وقطب ثباتهم ، ان رأى من بعضهم هلعا أو رقة أو جبانة شجعه وثبته وبشره ، ووعده بالنصر والظفر والغنيمة ، وبين له فضل الجهاد والمجاهدين ، وأنزل الله عليهم السكينة ، وكان اذا ركب الخيل يتحنك ويجول فى العدو كأعظم الشجعان ، ويقوم كاثبت الفرسان ، ويكبر تكبيرا أنكى فى العدو من كثير من الفتك بهم ، ويخوض فيهم خوض رجل لا يخاف الموت . »

ووصفه علم الدين البرزالي فقال (٢) : « ... وأما شجاعته وجهاده واقدامه فأمر يتجاوز الوصف ، ويفوق النعت . »

ويقول الذهبي رحمه الله : (٣) وأما شجاعته ففيها تضرب الأمثال ، وببعضها يتشبه أكابر الابطال ، فلقد أقامه الله فى نوبة غازان ، والتقى أعباء الأمر بنفسه ، وقام وقعد ، وطلع وخرج ، واجتمع بالملك مرتين وبقطلو شاه

---

(١) المناقب العلية : ٦٩ .

(٢) العقود الدرية : ٢٣

(٣) الذيل : ٢٩٥/٢

وبيولاي ، وكان قبجق يتعجب من اقدامه وجراته على المغول » ٠

وقد خاض الشيخ عددا من المعارك وابلى فيها بلاء حسنا حمده المؤرخون عليه ، ومن تلك المعارك : معركة فتح عكا فقد ذكروا : « انهم رأوا منه فى فتح عكا أمورا من الشجاعة يعجز الوصف عن وصفها ، قالوا : ولقد كان السبب فى تملك المسلمين اياها وبفعله ومشورته وحسن نظره » (١)

ومن المعارك الشرسة التي حضرها الشيخ وابلى فيها ، معركة « شقحب » بين أهل الشام والتتار ٠٠ ولقد ذكر ابن كثير هول تلك المعركة ومواقف الشيخ المشهودة فيها (٢)

وكان للشيخ اسهام كبير فى مداولاته مع التتار أسفرت عن حقن دماء المسلمين أو اطلاق أسراهم (٣) ٠ ويذكر التاريخ أيضا أن الشيخ رحمه الله يعود اليه الفضل فى تحريض واستنفار سلاطين مصر لحرب التتار ٠ فقد « سافر الشيخ مرة على البريد الى الديار المصرية يستنفر السلطان عند مجيء التتر سنة من السنين ، وتلا عليهم آيات الجهاد ، وقال : ان تخليتم عن الشام ونصرة أهله ، والذب عنهم ، فان الله تعالى يقيم لهم من ينصرهم غيركم ويستبدل بكم سواكم ، وتلا قوله تعالى : « وان

---

(١) المناقب العلية ٧٠

(٢) العقود الدرية : ١٨

(٣) البداية والنهاية : ٢٣ ـ ٢٦

تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم » وقوله تعالى : « الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ، ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا » ، وبلغ ذلك الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد ـ وكان هو القاضي حينئذ ـ فاستحسن ذلك وأعجبه هذا الاستنباط وتعجب من مواجهة الشيخ للسلطان بمثل هذا الكلام · »

وللشيخ مواقف مشهودة لولا ضيق المقام لذكرت لك طرفا منها ·

وفاته ..

توفي رحمه الله ـ وهو بسجنه فى القلعة ـ سحر ليلة الاثنين عشر ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، فحزن الناس عليه حزنا شديدا ، وكان لجنازته هيبة ووقار لم يشهد مثلها الا فى جنازة أحمد بن حنبل رحمه الله ، ولنترك البزار يروي لنا هذه الحادثة بقوله : (١)

« فما هو الا أن سمع الناس بموته فلم يبق فى دمشق من يستطيع المجيء للصلاة عليه ، الا حضر لذلك وتفرغ له ، حتى غلقت الاسواق بدمشق ، وعطلت معايشها حينئذ ، وحصل للناس بمصابه أمر شغلهم عن غالب أمورهم وأسبابها ، وخرج الأمراء والرؤساء ، والعلماء والفقهاء ،

---

(١) العقود الدرية : ١١٩ ، المناقب العلية : ٧٠ ـ ٧٥ ، البداية والنهاية ٧/١٤ ـ ١٦